Kuwaiti-French Relations: A Reading of Selected Documents from the French Archives 1866-1900

Theyab Alburaas
Hamad Alqahtani

Department of History, College of Arts,

Kuwait University

Abstract

This study discusses the Kuwaiti French relations in the period between 1866-1900, a period that was pregnant with events and conflicts between the different colonizing powers, most notably Britain, the Ottoman Empire, and Russia, by reviewing four French documents. The study mainly aims at shedding light on the political and social aspects of Kuwait in such a period of time, and at offering a perspective that is different from that embraced by other parties (i.e. the British documents).

The study attempts to raise multiple questions, on top of which is to gauge the depth of influence these Kuwaiti French relations exerted. Did these relations have any impact on the formation of the political structure in Kuwait? To what extent did individual personal agenda of French diplomats and officials play a part in facilitating these lines of communication between Kuwaiti and French diplomats? Did Kuwait and France succeed in creating a respectful mutual relationship despite the daunting hegemony of the British and the retreat of French militia from the Gulf? Do these French documents reveal any conflicts between Britain and France regarding administering influence over Kuwait? Lastly, did these documents have any impact on the natural role of the Kuwaiti society and its texture and values in determining what works in its interest on a political level? The study adopts the historical - analytic method, and it starts by giving an overview on the nature of French Kuwaiti relations, then it moves on to analyze the four French documents. In selecting the documents needed here, it has been taken into consideration the independent nature of Kuwait's relationship with the Ottomans as well as Britain. In the second part, the study provides further analysis for a certain specific document, after the signing of the Kuwaiti-British treaty.

In conclusion, the study has shown that the history of Kuwaiti relations is connected to international powers in general and to the conflicts and events that the Gulf region saw in particular. The Sheikh of Kuwait or whoever represents him was the political and military leader of Kuwait- as evidenced by these documents. The study also has revealed that Kuwait was independent of the Ottoman rule.

Keywords: Political historic documents, Kuwaiti French relations, French influence in the gulf.

ISSN : 1026-9576

DOI : 10.34120/0117-040-158-007

To cite this article/ الإشارة المرجعية للبحث

البربعص، ذياب، والقحطاني، حمد: "الدبلوماسية الفرنسية والكويت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 1866 – 1900 ": قراءة في وثائق الأرشيف الفرنسي" ، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت: العدد 158، 2022، 197 - 228.

Al-Brīʿṣī, Ḏīāb, w Ālqḥṭānī, Ḥāmd: "Āldblūmāsīt̄ Al-Frnsīt̄ Wālkwyt fī Al-Nṣf Al-Ṯānī mn Al-Qrn Al-Tās ʿšr 1866-1900": Qrāʾt̄ fī Ūṯāʾiq Al-ʾaršīf Al-frnsī", *Arab Journal for the Humanities*, 158, 2022,197-228 .

"الدبلوماسية الفرنسية والكويت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 1866-1900": قراءة في وثائق الأرشيف الفرنسي

* ذياب مبارك حامد البريعص
** حمد محمد القحطاني

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت
** مدرس مساعد أول ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

تناقش هذه الدراسة العلاقات الكويتية الفرنسية في الفترة ما بين عامي 1866 و1900، وهي فترة كانت حافلة بالعديد من الأحداث، ومليئة بالصراعات بين القوى الاستعمارية المختلفة، وفي مقدمتها بريطانيا والدولة العثمانية وروسيا، وذلك من خلال استعراضها لأربع وثائق فرنسية، وهي تهدف إلى تقديم معلومات تتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية لإمارة الكويت إبان فترة الدراسة. كما تهدف إلى تقديم مشهد لوجهة نظر مختلفة عن تلك التي كانت تتبناها وثائق جهات أخرى(الوثائق البريطانية)، كذلك تحاول الدراسة الإجابة عن تساؤلات عدة، يأتي في مقدمتها: هل كان للعلاقات الفرنسية الكويتية دور أو تأثير في صناعة القرار السياسي بالكويت؟ وما الدور الذي كانت تلعبه الدوافع الشخصية للقناصل أو الموظفين الرسميين الفرنسيين في تفعيل سبل التواصل بين الدبلوماسية الفرنسية والكويت في تلك الفترة؟ وكيف نجحت الكويت وفرنسا في بناء علاقة ودية على الرغم من الهيمنة البريطانية وتراجع نفوذ الفرنسيين في الخليج؟ وهل كانت الوثائق الفرنسية التي نعالجها تعكس لمحات أو مشاهد لصراعات بين الجانبين: الفرنسي والبريطاني ولا سيما ما يتعلق بالكويت تحديداً؟ وهل عكست الوثائق الفرنسية ملامح وطبيعة الدور المجتمعي لأهالي الكويت وطبيعته وقدرته على تحديد مصالحه على المستوى السياسي عندئذ؟ وقد اعتمدت الدراسة على منهج البحث (التحليلي)؛ إذ تبدأ بعرض مبسط لطبيعة العلاقات الكويتية الفرنسية، ثم تعرض الوثائق المختارة وتحللها؛ ومن ثم تقدم ما يستخلص منها من نتائج ودلالات، وقد روعي في اختيار الوثائق كذلك (البحث) ما يؤكد فكرة الاستقلالية في علاقة الكويت بكل من البريطانيين والدولة العثمانية، في ضوء الرواية الفرنسية، في حين خصص الجزء الثاني لتناول إحدى الوثائق بعد توقيع الاتفاقية الكويتية البريطانية. وخلصت الدراسة إلى نتائج، أهمها: أن تاريخ العلاقات الكويتية مع القوى الخارجية – عموماً– ارتبط بتاريخ الصراعات والأحداث التي كانت تشهدها المنطقة، وأن شيخ الكويت أو من ينوب عنه كان بمثابة القائد السياسي والعسكري، كما تقدمه الوثائق، وأن الكويت كانت مستقلة عن السلطات العثمانية.

الكلمات المفتاحية: الوثيقة، العلاقات الكويتية الفرنسية، تاريخ الكويت، الدور الفرنسي في الخليج .

الإشارة المرجعية للبحث/ To cite this article

البريعص، ذياب، والقحطاني، حمد: "الدبلوماسية الفرنسية والكويت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 1866 – 1900 " : قراءة في وثائق الأرشيف الفرنسي" ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت: العدد 158، 2022، 197 - 228.

Al-Brʿṣī, Ḏīāb, w Ālqḥṭānī, Ḥāmd: "Āldblūmāsīʾī Al-Frnsīʾī Wālkwyt fī Al-Nṣf Al-Ṯānī mn Al-Qrn Al-Tās ʿšr 1866-1900": Qrāʾī fī Ūṯāʾiq Al-ʾaršīf Al-frnsī", *Arab Journal for the Humanities*, 158, 2022,197-228 .

هدف الدراسة

تعد الرؤية التاريخية التي تقدمها الوثائق بالنسبة للتكوين التاريخي والاجتماعي والسياسي لبعض الأمم والشعوب وأبعاد التواصل بينها وبين الأمم والشعوب الأخرى – أساساً، في استنباط كثير من المعلومات المتعلقة بهذه الجوانب؛ وعليه تناقش الدراسة العلاقات الكويتية الفرنسية في الفترة ما بين 1866 و1900، وهي فترة كانت حافلة بالعديد من الأحداث ومليئة بالصراعات بين القوى الاستعمارية المختلفة، وفي مقدمتها بريطانيا والدولة العثمانية وروسيا، وذلك من خلال استعراضها لأربع وثائق فرنسية.

إشكالية الدراسة

تطرح الدراسة إشكاليتها في عدة تساؤلات، هي: هل كان لهذه العلاقات الفرنسية الكويتية دور أو تأثير في صناعة القرار السياسي بالكويت؟ وما الدور الذي كانت تلعبه الدوافع الشخصية للقناصل أو الموظفين الرسميين الفرنسيين في تفعيل سبل التواصل بين الدبلوماسية الفرنسية والكويت في تلك الفترة؟ وكيف نجحت الكويت وفرنسا في بناء علاقة ودية على الرغم من الهيمنة البريطانية وتراجع نفوذ الفرنسيين في الخليج؟ وهل كانت الوثائق الفرنسية التي نعالجها تعكس لمحات ما أو مشاهد لصراعات بين الجانبين الفرنسي والبريطاني، تتعلق بالكويت تحديداً؟ أخيراً هل عكست الوثائق الفرنسية ملامح وطبيعة الدور المجتمعي لأهالي الكويت وقدرة هذا المجتمع على تحديد مصالحه على المستوى السياسي عندئذ؟

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على منهج البحث (التحليلي)؛ إذ تبدأ باستعراض مبسط لطبيعة العلاقات الكويتية الفرنسية، ثم تقدم عرضاً للوثائق المختارة وتحللها، وقد روعي في اختيار الوثائق (البحث) فكرة الاستقلالية في علاقة الكويت مع كل من البريطانيين والدولة العثمانية، في ضوء الرواية الفرنسية، في حين خصص الجزء الثاني لتناول إحدى الوثائق بعد توقيع الاتفاقية الكويتية البريطانية.

أهميه الوثيقة

الوثيقة، عموماً، لا تكون جديرة بأن تحمل صفة الأهمية أو الفاعلية التاريخية ما لم يدرجها الباحث ضمن أدوات البحث التاريخي الخاصة بكتابة التاريخ؛ فالنقد الذي يمارس – مثلاً – على الوثيقة أو المخطوطة ليس من المؤكد أن يكون هدفه التقليل من شأنها أو الابتعاد بها عن مضمونها التاريخي، بل إن إخضاع الوثيقة للنقد والتحليل إنما يكون هدفه – في الغالب – الكشف عما تحمله من حقائق تاريخية.

وفي مسار البحث التاريخي يمكن القول: إن موضوع العلاقات الفرنسية الخليجية عامة، والفرنسية الكويتية خاصة، يكتسي أهمية خاصة ليس من الناحية التاريخية فحسب، بل من ناحية طبيعة هذه العلاقات واستشفاف تأثيرها، وما ترتب عليها لاحقاً على مستوى مجرى التبدلات السياسية وانعكاساتها، وما رافقها من أحداث في منطقة الخليج العربي خلال الفترة محل الدراسة 1866 – 1900.

وتعدّ وثائق الأرشيف الفرنسي رافداً مهماً لتقديم وجهات نظر مختلفة عن تلك التي تتبناها وثائق جهات أخرى، ونقصد بها جهة النظر التي تتبناها السياسة البريطانية، التي كانت تأتي دوماً في مقدمة اهتمام الباحثين والمؤرخين، ويتم الارتكاز إليها في التدوين لتاريخ منطقة الخليج العربي[1].

ولاستكمال رسم معالم وطبيعة التحولات السياسية التي كانت تشهدها الكويت إبان الفترة محل الدراسة 1866–1900 [2]، علينا القبول بأن العلاقات الكويتية الفرنسية سجلت في تلك الفترة حالة هدوء واستقرار، دون توترات تذكر، بخلاف بعض القوى الأخرى، وذلك على الرغم من أن الكويت وفرنسا لم ترتبطا بصلات سياسية أو معاهدات على غرار المعاهدة التي عقدت – على سبيل المثال – بين فرنسا وعُمان في عام 1798م[3]، أو المعاهدة الكويتية البريطانية في عام 1899؛ إذ إن عدم وجود علاقات مباشرة بين الكويت وفرنسا أدى إلى فقر الوثائق المتعلقة بالكويت، وهي ذات معلومات قيمة، وهذه الدراسة تحاول سبر هذا المجال وإلقاء الضوء على الجديد من وثائق غير الوثائق الإنجليزية. هذا الدور الذي لعبته فرنسا في المنطقة كان يخدم مصالح الكشوت بشكل كبير؛ إذ إن الفرنسي

في شمال الخليج لم يكن قوياً لكن الشيخ مبارك الصباح استغل هذا الوجود لإيجاد نوع من التهديد للسيطرة البريطانية؛ ومن ثم الحصول على امتيازات شخصية له من أموال دفعت له أو دعم سياسي ضد العثمانيين الذين شكلوا هاجسه الأكبر. ومع فتح الباب للفرنسيين واستقبالهم وجد نوع من توازن القوى صب في صالح الكويت واستقلالها، واستغله حكام الكويت بذكاء لإيجاد نوع من التوازن أيضاً بينهم وبين الأوروبيين على الرغم من سيطرة الإنجليز الواضحة، لكن تهديد هذه السيطرة جعل الإنجليز في حالة استنفار دائم للحفاظ على نفوذهم المطلق.

أما الناحية التحليلية للدراسة؛ فقسمت على الشكل الآتي :

- مقدمة.
- فرنسا والخليج العربي.
- طبيعة العلاقات الكويتية الخارجية.
- الكويت والوثائق الفرنسية 1866 – 1900.
- الوثيقة الأولى.
- الوثيقة الثانية.
- الوثيقة الثالثة.

أهمية الدراسة

حين نستعرض جزءاً من علاقة الكويت بالقوى الكبرى التي كانت موجودة في منطقة الخليج العربي، من المهم أن نحاول استشفاف المشهد التاريخي وقراءته من خلال البحث والتنقيب في مصادر بالمستوى نفسه – على الأقل – للتصوّرات التقليدية التي دأب المؤرخون والباحثون النظر إليها؛ باعتبارها الإرث الأصيل لما يتعلق بتاريخ المنطقة عموماً والكويت على وجه الخصوص، وهي مصادر قادرة على أن تلقي الضوء على الأحداث التاريخية التي مرت بها الكويت، وتتيح الفرصة أمام فهمها بشكل أكثر شمولية واتساعاً، وتتشكل من خلال ما تعرضه مشاهد واضحة لعلاقاتها على المستويين: الداخلي والخارجي؛ بحيث يبدو ممكناً من خلالها استخلاص المحتوى التاريخي الذي

يخدم مسارات البحث في علاقة الكويت بالقوى المختلفة في هذه الفترة، ولا سيما علاقتها بفرنسا[4].

إشكالية الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن تساؤلات، لعل أهمها: ما مستوى التحولات التي شهدتها الكويت في ظل التنافس البريطاني – الفرنسي، قبل اتفاقية الحماية 1899م؟ وهل كان للعلاقات الفرنسية الكويتية دور أو تأثير في صناعة القرار السياسي بالكويت؟ كذلك ما الدور الذي كانت تلعبه الدوافع الشخصية للقناصل أو الموظفين الرسميين الفرنسيين في تفعيل سبل التواصل بين الدبلوماسية الفرنسية والكويت في تلك الفترة؟ وكيف نجحت الكويت وفرنسا في بناء علاقة ودية على الرغم من الهيمنة البريطانية؟ وكيف تراجع نفوذ الفرنسيين في الخليج؟ وهل تعكس الوثائق الفرنسية التي نعالجها لمحات ما أو مشاهد لصراعات بين الجانبين الفرنسي والبريطاني، تتعلق بالكويت تحديداً؟ أخيراً هل عكست الوثائق الفرنسية ملامح وطبيعة الدور المجتمعي لأهالي الكويت وقدرته على تحديد مصالحه على المستوى السياسي.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على منهج البحث (التاريخي)؛ إذ تبدأ بعرض مبسط لطبيعة العلاقات الكويتية الفرنسية؛ ومن ثم، تعرض للوثائق المختارة وتحلّلها؛ للوصول إلى ما تحمله من حقائق، وما يستخلص منها من نتائج. ولعل مما هو جدير بالإشارة إليه أن هذه الوثائق تستطيع أن تعزز بمادتها بعض التصورات عن عمق العلاقات الكويتية الفرنسية، وقد روعي في اختيار الوثائق لهذه الدراسة فكرة الاستقلالية في علاقة الكويت مع كل من بريطانيا والدولة العثمانية، في ضوء الرواية الفرنسية للمراسلات إبان الفترة محل الدراسة (1866–1900)، كما روعي أن تقدم رؤيه مترابطة – قدر الإمكان – لأهم الأحداث التي مرت بها العلاقات الكويتية الفرنسية خلال تلك الفترة، ويضم الجزء الأول ثلاث وثائق مؤرخة في (3 نوفمبر 1866، 17 ديسمبر 1866، 21 مارس 1867)، وهي مراسلات من القنصل الفرنسي ببغداد إلى وزير خارجيته عن طريق السفير الفرنسي بإسطنبول،

ولما كانت اتفاقية 1899 مع الجانب البريطاني من أهم الاتفاقيات في تاريخ الكويت؛ فقد خصص الجزء الثاني لتناول إحدى الوثائق بعد توقيع الاتفاقية، من وجهة نظر الجانب الفرنسي، خاصة أنه منذ عام 1898 استمرت المراسلات السياسية للقناصل الغربيين عموماً مع حكوماتهم، وهي مراسلات قدّمت لنا كمّاً وافراً من المعلومات، ساعد على الإحاطة بأحداث مهمة عن الجوانب السياسية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية في الكويت، وأسهم في فهم الحوادث التاريخية المتعلقة بها.

فرنسا والخليج العربي

يقول الفرنسي لوسين فيفر: "التاريخ يكتب اعتماداً على الوثائق المكتوبة إن وجدت، لكن يمكن أن يكتب اعتماداً على كل ما يستطيع الباحث بمهارته أن يستنبطه من أي مصدر "[5].

تجدر الإشارة إلى أن أهم الوثائق الفرنسية محفوظة بوزارة الخارجية في باريس، وتحوي كثيراً من النسخ للتقارير والمراسلات التي تلقتها وزارة الخارجية من الدبلوماسيين الفرنسيين الذين كانوا موزعين في بعض الولايات التابعة للعثمانيين، كما تحوي محفوظات السفارة الفرنسية في إسطنبول تقارير متعددة منها[6]، ومنها ما يتعلق بكل من (البصرة وبغداد وغيرهما)، أما ما يتعلق بالكويت؛ فيمكن القول: إن التقارير والمراسلات المختلفة المتعلقة بها كانت -في غالبها - لفترة ما بعد عام 1840، وبخاصة مراسلات القناصل الفرنسيين في بغداد والبصرة[7]، التي تناولت كثيراً من شؤون الكويت السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعرضت لشؤون السياسة والحكم فيها، من سبعينيات القرن الثامن عشر حتى تولي الشيخ مبارك الصباح حكم الكويت 1896-1915.

ويعدّ ظهور شركة الهند الشرقية البريطانية (The British East India Company) التي أنشئت في عام 1600 [8] - وتحولت لاحقاً إلى مؤسسة شبه حكومية - حدثاً جوهريّاً مهمّاً؛ إذ كانت العامل المهم الذي أدار المشهد في منطقة الخليج العربي وأجزاء واسعة من آسيا، وذلك بعكس شركة الهند الشرقية الفرنسية التي أُسست بعدها بأكثر من نصف قرن في عام 1664م[9].

كما كشفت الشواهد التاريخية أنه منذ عام 1793م بدأت فرنسا تتنبه لأهمية الخليج العربي كحلقة وصل تستطيع من خلالها السيطرة على التوجه البريطاني نحو الهند وبقية مستعمراتها هناك، أو على الأقل الحد منه وتركّز الاهتمام الفرنسي في البداية بعمان وفارس؛ لذا نرى الفرنسيين ينشئون قنصلية بمسقط، ويتّجهون نحو إرسال البعثات إلى فارس بحجة الكشوفات[10]، ويظهر التنافس الدولي المحموم في المنطقة جليّاً من خلال سرعة التحرك الفرنسي نحو مصر في عام 1798، الذي كان بمثابة الإعلان الأكثر حدة من جانب فرنسا لإظهار قدرتها على الانخراط في صراعات عسكرية مسلحة والسعي لضرب أي جهود أو محاولات تستهدف السيطرة على موانئ الخليج العربي[11].

وعليه؛ يمكن القول: إن الاهتمام العام لفرنسا بمنطقة الخليج العربي والاتجاه نحوها لم يكن متأخراً؛ إذ إن البحث والتدقيق يظهران أن فرنسا كانت تولي الخليج العربي أهمية بالغة، وأن إشاراتها المبكرة التي وردت في الوثائق والمراسلات الخاصة بالقناصل والدبلوماسيين االفرنسيين مع حكوماتهم تعكس تلك الأهمية بشكل كبير.

فعلى سبيل المثال، تُظهر الإشارات أن إحدى الدلالات الجغرافية الأولى عن الكويت[12]ظهرت على يد الجغرافي الفرنسي (نيكولا سانسون) مابين عامي 1652 و1654. وأن فرنسا كان لها وجود قنصلي مبكر في أماكن قريبة من الكويت، منها – على سبيل المثال – البصرة التي أنشأت فيها قنصلية في عام 1679[13].

ومع أهمية تلك الإشارات والدلائل التي كانت تأتي – في الغالب – ضمن التحفظات التي تبديها فرنسا حول بعض التحركات من قبل القوى الأخرى (البريطانية والعثمانية تحديداً)، فإن النظر بعمق إلى تلك الإشارات يكشف أن فرنسا لم تكن لتضع الكويت في دائرة اهتمامها، بخلاف بعض المناطق الأخرى التي كانت تحظى بنصيب وافر من اهتمامها[14].

إن فحص الإشارات الواردة في الوثائق التي نسوقها يمكّننا من الوصول إلى نتيجة، مفادها أن فرنسا كانت على قناعة بأنها خارج لعبة التوازنات فيما يتعلق بالكويت، ولا سيما أن الكويت كانت – بالفعل – قد بدأت تدخل في دائرة اهتمام السياسيين البريطانيين على

وجه الخصوص[15]، كذلك تظهر لنا هذه الوثائق أن تمركز القرار السياسي في الكويت لم يكن بشكل مطلق بيد الحاكم، وذلك ما قبل فترة حكم الشيخ مبارك الصباح 1896-1915. واللافت للنظر أيضاً أن الإشارات التي تتضمنها تلك الوثائق تظهر أن السلطة في الكويت بنت - بشكل موسع - سياستها الخارجية على ربط توجهاتها بطبيعة القوى الموجودة، وهذا الطرح ربما يتوافق مع ما جاء من إشارات ودلائل أخرى مماثلة، نذكر منها-على سبيل المثال - طلب العتوب من العثمانيين في عام1701 أخذ الأمان للاستقرار في المنطقة، وأخيراً العلاقة بالجانب البريطاني التي توجت باتفاقية الحماية في عام 1899م، وهي الاتفاقية التي ظلت مستمرة حتى إعلان الاستقلال في عام 1961.

طبيعة العلاقات الكويتية الخارجية

قبل المضي نحو عرض الوثائق الفرنسية، يحسن أن نعرض بشكل سريع لطبيعة العلاقة بين الكويت والقوى المختلفة التي كانت موجودة في المنطقة؛ فمنذ هجرة العتوب من الهدار بنجد[16] إلى قطر، وبعد استقرار عارض فيها لمدة قدرها البعض من ثلاثين إلى خمسين عاماً[17]، تذكر المصادر التاريخية أن العتوب، بعد الرحيل من قطر، أخذوا في التفرق في بعض جزر الخليج العربي؛ فيقول مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد: إن العتوب اتجهوا نحو (قيس) إحدى جزر الخليج العربي، مستكملاً المشهد بالقول: "فيما رحل آخرون إلى قرب أم قصر شمالاً"[18]. وهنا تحديداً - يمكننا اللجوء إلى الوثائق العثمانية التي ربما تخدم سياق هذا المشهد؛ وذلك باستدعاء مخطوطة أرخت في عام 1701 - وهي الوثيقة العثمانية التي كشف عنها في الأرشيف العثماني- تشير إلى أن العتوب طلبوا من الوالي العثماني علي باشا الاستقرار في المنطقة[19]، لكن الوثيقة - أو بمعنى أدق الترجمات المرصودة لها- لم تظهر موافقة أو عدم موافقة الباب العالي على طلبهم هذا، وتنتهي الوثيقة بعبارة "**بقاء الخليفات والعتوب حتى الآن غير معلوم**". على وجه العموم بدأ تشكيل الكيان السياسي للعتوب في هذه الفترة تقريباً، وهي الفترة التي نمتلك لها أدلة ووثائق مدونة؛ إذ يذكر فرنسيس واردن في مقالته(عرب العتوب) المدونة 1819م "**دخلت ثلاث قبائل عربية ذات شأن، هي: بنو صباح والجلاهمة وآل خليفة، تحدوهم عوامل المصلحة والطموح**

في تحالف، واستولت على بقعة من الأرض على الساحل الشمالي الغربي من الخليج تسمى الكويت "، ويسترسل التقرير مضيفاً: **"إن القبائل الثلاث اتفقت على أن أبناء بني صباح يمارسون السلطة، والجلاهمة يشرفون ويسيطرون على الملاحة البحرية، ويتخصص بنو خليفة في التجارة "** [20].

على هذه الأرضية ومع تشكل الصورة الأولى للعتوب في سياق المشهد التاريخي يمكننا القول: إنه على الجهة المقابلة كان لابد أن تقود أطماع البريطانيين للسيطرة على التجارة في الشرق والخليج العربي إلى نزاع مع بقية القوى الأخرى، كالهولنديين، والفرنسيين، بعد أن تم إقصاء البرتغاليين، وفي عام 1664 قام الفرنسيون بتأسيس وكالة تجارية في بندر عباس التي احتلوها لاحقاً في عام 1759، كما بدأ الهولنديون كذلك في فقدان نفوذهم التدريجي بالمنطقة؛ إذ فقدوا في عام 1766 جزيرة خرج، وبعدها بأربع سنوات 1780 دخلوا في حرب الاستقلال الأمريكية ضد بريطانيا، كما وقعت هولندا فريسة للاحتلال الفرنسي. وبعد انتهاء حرب الأعوام السبعة (1756 – 1763)، يمكن القول: إن بريطانيا أصبحت اللاعب الرئيس بمنطقة الخليج العربي والوريث الأكثر قدرة على التحكم بمقدرات شعوبه ومناطقه، حدث ذلك في الوقت نفسه الذي كانت فيه الدولة العثمانية هي الأخرى تتعرض لهزائم وانكسارات متتالية على الجانب الأوروبي، وفقدت كثيراً من نفوذها وأراضيها في الجانب العربي، وعليه؛ في ظل هذا الوضع المتشابك والمعقد، وبين كل هذه القوى التي تتنازع وتتصارع على المصالح فيما بينها، كانت الكويت تنمو كإمارة صغيرة ونشطة؛ من حيث التجارة والغوص على اللؤلؤ، كذلك بدأت تلفت الأهمية لخطورة موقعها؛ لذا لم يكن مفاجئاً أن نلحظ – منذ هذا الظهور النشط على يد العتوب– أن تاريخها كان تاريخاً مرتبطاً بالصراعات وتنافس القوى المختلفة بالمنطقة، وأن هذه الصراعات الحاصلة كانت تدفع حكام الكويت إلى إيجاد تقارب بينها وبين هذه القوى، وإن رفضت – في بعض الأحيان – عقد معاهدات كما حدث بالنسبة لمعاهدات الصلح التي قادتها بريطانيا في عام 1820 [21] مع شيوخ المنطقة، بيد أنها عادت في عام 1841 [22] إلى توقيع معاهدة لمدة سنة قابلة للتجديد.

الكويت والوثائق الفرنسية 1866-1900

من الجدير بالملاحظة أن العلاقات بين الكويت وفرنسا كانت علاقة ودّ واحترام؛ وهو المشهد الذي يؤكده – على الأرجح – المبعوثون والقناصل والدبلوماسيون الفرنسيون الذين كانوا يزورونها، أو ينزلون بها، أو الأفراد الذين ربطتهم علاقة تجارة معها؛ إذ تشير المعلومات إلى أن أول لقاء بين الفرنسيين والكويتيين جرى تقريباً في عام1778 [23]، وذلك حين لجأ أحد الضباط الفرنسيين إلى الكويت طالباً الحماية من شيخها الشيخ عبدالله الأول بن صباح، الذي أعطاه الأمان وأحلّه بضيافته[24].

وبعد نشوب الحرب الفرنسية البريطانية، في عام 1793، بدأت أعمال القرصنة في المحيط الهندي والخليج العربي، تتخذ منحى آخر، وبدأ الفرنسيون يعتبرون هذه الأنشطة بمثابة أعمال رسمية متفاخرين بتفوق قراصنتهم على القراصنة البريطانيين والبرتغاليين والهولنديين[25]، غير أنه بعد أن خسرت فرنسا معظم حروبها مع البريطانيين لاحقاً؛ ومن ثم خسارتها مستعمراتها، سواء في الهند أو أمريكا، بدأت تدرك انحسار دورها، على الرغم من هذا لم تتخلّ عن محاولات إثارة البريطانيين في بعض المناطق، كما حدث في سلطنة عمان [26] التي كانت ترتبط مع فرنسا بمعاهدة صداقة وقعت في عام 1844 [27].

ويذكر لوريمر أن فرنسا لم تكن من أهم الدول الأجنبية التي كان لها مصالح في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر (1782)؛ إذ لم تبرز مصالحها إلا في محاولتها الحصول على امتياز القيام بأعمال تجارية أو اقتصادية أو زراعية في بعض المناطق[28]، ويضيف لوريمر أيضاً أن فرنسا حاولت إنشاء خط ملاحي (بين مرسيليا والبصرة)، كان يستهدف – في الغالب – نقل المنتوجات التجارية إضافة إلى تجارة السلاح[29] والحبوب. وفي عام 1883/ 1884 قام مهندس فرنسي بعملية مسح جغرافي تمهيداً للشروع في العمل بمشروع مد خط حديدي، يبدأ من قزوين وينتهي بالخليج[30]. لكن يبدو أن شيئاً من الاتفاق على المصالح بين فرنسا وبريطانيا بدأ يعود في عام 1862، وذلك بعد أن أعطت بريطانيا لفرنسا مركزاً مساوياً لها في زنجبار إضافة إلى مسقط.

الوثيقة الأولى: من القنصل الفرنسي في بغداد إلى وزير الخارجية الفرنسي 3 نوفمبر 1866[31]

تقول الوثيقة: "سيدي الوزير حسب المعلومات التي وُفّقت في جمعها، فإن العقيد "بيلي" المقيم البريطاني في بندر بوشهر، الذي يجوب بشكل متواصل كل أرجاء الخليج الفارسي(العربي) على متن سفينة وفرتها له الحكومة، وهو رجل على صلات دائمة مع أهالي الضفتين، قد حثّ شيخ الكويت، الذي يجد كذلك ناصحاً آخر في شيخ مسقط[32]، على أن يطلب الدخول في حماية الحكومة البريطانية، واقترح عليه أن يحول المرفأ إلى منطقة حرة. تقع الكويت في عمق الخليج الفارسي (العربي)، ويحكمها في الوقت الحاضر شيخ اسمه عبدالله الصباح بن جابر، وقد خلف والده منذ بضعة أشهر. إن هذا الإقليم مستقل عن سلطة الباب العالي، ويقوم قائم مقام البصرة منذ مدة طويلة بدفع شكل من الإتاوة غير المعلنة لشيخ الكويت حتى يضمن بها سلامة التجارة من القرصنة. إن تقلص هذا النظام في المدة الأخيرة، إضافة إلى المخاوف من تدخل القبائل في شؤونهم، قد تدفع أهل الكويت – إذا ما كانت معلوماتي دقيقة – إلى الاستعداد لقبول مقترحات العقيد " بيلي " . إن الحاكم في بغداد، الذي يدعي ممارسة نفوذ على الكويت، قد تأثر كثيراً بهذه المناورات البريطانية إلى حد أنه طلب أوامر من الباب العالي. أنتهز الفرصة، سيدي الوزير، لأبلغ معاليكم بظهور فرقاطتين تركيتين في مياه الخليج العربي، ترتبطان بمرفأ البصرة" .

يتضح من الوثيقة أن دافع القنصل الفرنسي في الكتابة لحكومته، هو التوجس من المحاولات التي يقوم بها المقيم البريطاني "بيلي" الذي تصفه الوثيقة الأولى بأنه على صلة دائمة مع أهالي الضفتين، ويبدو أن المقيم البريطاني قابل بالفعل حاكم الكويت الشيخ عبدالله الصباح بن جابر (ويقصد عبد الله بن صباح الثاني 1866 – 1892)، وناقش معه أمر الدخول في حماية البريطانيين، التي يصفها بـ(حماية الحكومة البريطانية) مقترحاً تحويل ميناء الكويت إلى منطقة حرة. وللإنصاف وحتى هذا المستوى من الوثيقة لا نجد حدثاً ذا أهمية؛ إذ إن ولوج القناصل والمقيمين والمبعوثين الأجانب في تلك الفترة كان– في معظمه–

بهدف الحفاظ على المصالح التجارية والاقتصادية للجهات التي يمثلونها، سواء كانت جهات حكومية أم جهات تجارية خاصة، وذلك بعد أن أصبح في الخليج العربي كثير من الوكالات الأجنبية، منها – كما يذكر التقرير – وكالة بوشهر على الجانب الفارسي، وهي وكالة مهمة أصبحت فيما بعد مسؤولة عن كثير من الوكالات السياسية في المنطقة؛ كالشارقة ومسقط والبحرين والكويت[33]، وحتى هذا الجزء من الوثيقة تبدو الأحداث منسجمة مع طبيعة الإشارات التاريخية التي كانت تحملها التطورات الحاصلة في المنطقة إبان تلك الفترة، وتستكمل الوثيقة عملية السرد التاريخي بذكرها موقع الكويت وتسمية شيخها، ويلاحظ أنه **كان ثمة اهتمام معين في حديث القنصل بالنظام السياسي العام في الكويت؛ حيث يُشَخّصُ** الواقع الذي كانت تحياه، وذلك عندما يذكر أن الإقليم، ويقصد (الكويت)، مستقلة عن سلطة الباب العالي، ويقصد بها الدولة العثمانية، وأن قائم مقام البصرة كان منذ مدة طويلة يقوم بدفع نوع من الإتاوة غير المعلنة لشيخ الكويت، وبغية تقليص غموض النص تذكر الوثيقة – هنا – أن السبب هو ضمان سلامة التجارة من القرصنة.

كذلك كانت الدولة العثمانية حاضرة في الوثيقة؛ وذلك عندما ذكرت الوثيقة أن الكويت مستقلة عنها، وأن الحاكم العثماني في بغداد، (يدعي ممارسة نفوذ على الكويت)، وأنه من جراء المحاولات البريطانية لربط الكويت بها، أبلغ القنصل الفرنسي حكومته أنه بأوامر من الباب العالي ظهرت فرقاطتان عثمانيتان في مياه الخليج لمنع هذا الربط.

ويجب التوقف عند هذه الوثيقة لاعتبارات عدة، أهمها:

1 – تُشَخّصُ الوثيقة طبيعة النظرة الفرنسية المتوجسة بالنسبة للتحركات البريطانية تجاه الكويت.

2 – تؤكد الوثيقة أن الكويت إمارة مستقلة عن الباب العالي.

3 – تعرض الوثيقة لدور ما كانت تقوم به القوى الاجتماعية الداخلية في الكويت، ممثلة بالأهالي؛ إذ تذكر الوثيقة أن "المخاوف قد تكون السبب الذي دفع أهل الكويت إلى الاستعداد لقبول مقترحات البريطانيين".

4 – لا يبدو لنا منطقياً إشارة الوثيقة إلى موقع الكويت، حين ذكرت أنها تقع في عمق

الخليج، إلا من قبيل بيان أهمية مينائها؛ وذلك للفت النظر إلى تحركات البريطانيين لتحويل مينائها إلى منطقة حرة.

5 - خلت الوثيقة من أي ذكر لتجارة الرقيق في الكويت [34].

أخيراً؛ إن طبيعة العلاقات بين الكويت والدوله العثمانية التي تتحدث عنها الوثيقة مثلت جدلاً ظاهراً منذ مشاهدها التاريخية الأولى؛ إذ ترد هنا في نطاقها من خلال مشهدين، الأول قول القنصل" المقاطعة مستقلة عن سلطة الباب العالي"، والثاني "الحاكم في بغداد، يدعي ممارسة نفوذ على الكويت". وقد نستخلص بعض النتائج من الوثيقة الأولى، وتمثل ذلك التنافس البريطاني- الفرنسي على إمارة الكويت، فقد كانت الوثيقة توضح طبيعة الفرنسيين المتوجسة من التحركات البريطانية في اتجاه الكويت، وتؤكد الوثيقة استقلالية الكويت عن الدولة العثمانية.

الوثيقة الثانية: من القنصل الفرنسي في بغداد إلى وزير الخارجية الفرنسي 17 ديسمبر 1866 [35].

نص الوثيقة: "سيدي الوزير، منذ المذكرة التي وجهتها لكم بتاريخ 3 نوفمبر، لم تتوفر لي أي معلومات أخرى عن المشاريع التي قد يكون البريطانيون بصدد صياغتها في الكويت. ففي البلاد التي أنا أقيم فيها (بغداد) والتي ليس لها علاقة مع الكويت، البعض يؤكد لي المعلومات التي أبلغتها للوزارة، والبعض الآخر ينفيها نفياً قاطعاً. أما عن زميلي البريطاني (القنصل)؛ فقد أكد لي مرات متتالية أن لا علم له بموضوع مقترحات قدّمها أهالي الكويت إلى حكومة جلالة الملكة بغية الدخول في حمايتها. سيدي الوزير، مهما كان الأمر، وصلتني معلومة، وقد اطلع عليها الكثيرون في صحافة بومباي، وصياغتها كالتالي: (شيوخ الكويت في الخليج العربي يهبون مرفأ مدينتهم للحكومة البريطانية حتى يتحول إلى مرفأ حر ويقبلون برفع العلم البريطاني)".

وبالنظر إلى رسالة القنصل الفرنسي إلى وزارة الخارجية 17 ديسمبر تتضمن أن الكويت في طريقها للقبول برفع العلم البريطاني على مرفئها وتحويله إلى الحكومة البريطانيه وأن بغداد ليس لها علاقه مع الكويت. يلاحظ أنه لا يوجد أدنى رد على الوثيقة التي سبقتها، وتنحصر أهم المشاهد في تأكيد القنصل الفرنسي البروز المفاجئ مرة أخرى

لتاكيد القنصل استقلالية الكويت؛ حيث ذهب إلى أن "البلاد التي أقيم فيها (بغداد) ليس لها علاقة مع الكويت"، كذلك أظهر القنصل الفرنسي تأكيد مخاوفه التي ذكرها سابقاً، المتمثلة في توجسه من استعداد السلطة في الكويت لوضع المرفأ بيد الحكومة البريطانية "شيوخ الكويت في الخليج الفارسي (العربي) يهبون مرفأ مدينتهم للحكومة البريطانية حتى يتحول إلى مرفأ حر". وفي اعتقادنا أن هذا الأمر تحديداً هو سبب بعث الرسالة، لا سيما إذا علمنا أن الزمن بين الرسالتين الأولى والثانية هو نحو الشهر ونصف الشهر، وهو بمقاييس تلك الفترة يعد وقتاً غير طويل، والمثير هنا أيضاً هو مسألة الرفض الضمني الفرنسي –الممثل بالقنصل – لوجود علاقة بين العثمانيين والكويت.

الوثيقة الثالثة[36]

نص الوثيقة: "سيدي الوزير، في المذكرة التي كنت أرسلتها لكم بتاريخ 17 ديسمبر المنصرم أعلمت سيادتكم ما بلغ علمي بوساطة زميلي البريطاني فيما يتعلق بما شاع هنا وشاع كذلك في بومباي عن أن أهل الكويت في الخليج الفارسي (العربي) لهم النية في وضع بلادهم تحت الحماية البريطانية".

"لقد تلقيت مؤخراً رسالة من مسقط، أرسلها لي قائد سفينة "الديسيمات" الذي جاب هذه البحار، يقول فيها: إنه بعد مغادرته البصرة توجه للقاء شيخ الكويت، وإن هذا الأخير لم يُبد له حماسة كبيرة للإنجليز، وإنه كذّب كل الشائعات التي نشرتها صحيفة بومباي. أعلمني هذا القائد كذلك أنه لاحظ في الكويت، كما في غيرها من الأماكن على الخليج الفارسي (العربي)، أن الأهالي تستهويهم المزايا التي قد تحصل من العلاقة مع الإنجليز ولكنهم في نفس الوقت يخشون من نزعة الهيمنة عندهم".

"إن هذه الملاحظة التي أرسلها السيد "بوس Bous"، ورغم أنه لم يقض في الكويت إلا سويعات قليلة إضافة إلى أنه غير عارف بطرق التفكير العربية، هي ملاحظات جديرة بالاهتمام. إن أهالي الكويت يخشون بحق نزعة الهيمنة الإنجليزية، لكن في نفس الوقت نحن لا نشك في أن مخاوفهم أكبر من الاستبداد العثماني الجاثم على جيرانهم، ناهيك عن أن هذا الاستبداد لا يوفر لهم ما يوفره الوجود البريطاني".

" مما لا شك عندي أن العلاقة مع الحكومه الإنجليزية يرغب بها حكام الخليج الفارسي (العربي) بشكل عام، وخاصة أنهم يبحثون عن مصالحهم الخاصة، كذلك فإن هؤلاء الحكام لا يرغبون في إقامة علاقات دبلوماسية وسياسية مع الدولة العثمانية، سيدي الوزير، إن الحقيقة من كل ما شاع منذ عدة أشهر هو أن أهل الكويت لا يرغبون في الخضوع للدولة العثمانية ولا للحكومة الإنجليزية، ولكنهم في نفس الوقت قد يُسلمون أمرهم لهؤلاء الأخيرين إذا ما حاول الأتراك الهيمنة على بلادهم " .

الحقيقة أن أهمية هذه الوثيقة تكمن في كمية المعلومات المصرح بها في موضوع تجذر العلاقة بين بريطانيا والكويت من وجهة النظر الفرنسية، وفي اعتقادي أن ما ترتب على مثل تلك الوثائق لدى الحكومة الفرنسية هو ما أدى لاحقاً إلى عدم وجود ردود أفعال عنيفة من قبل فرنسا على الاتفاقية البريطانية الكويتية في عام 1899؛ إذ إن السياسيين الفرنسيين كان لديهم – فيما يبدو – قناعة بحدوث ارتباط ما – عاجلاً أو آجلاً – بين الكويت وبريطانيا، وقد ذهب القنصل الفرنسي إلى أن " **الأهالي تستهويهم المزايا التي قد تتحقق من العلاقة مع الإنجليز** " ، ولا تقتصر الرسالة كذلك على هذا الأمر؛ إذ نلمس مشهداً آخر يمكننا استجماع ملامحه من الوثيقة هذه، بالإضافة إلى الوثيقة الأولى، وهو هذا الحضور الواضح للقوى المجتمعية؛ ففي الوثيقة الأولى وجدنا حديث القنصل عن أهل الكويت "إذا ما كانت معلوماتي دقيقة فإن هذا الأمر ما دفع أهل الكويت إلى الاستعداد لقبول مقترحات العقيد بيلي " ، وفي الوثيقة (الثالثة) "**الأهالي تستهويهم المزايا التي قد تتحقق من العلاقة مع الإنجليز** " ؛ ومن ثم لا يجد القارئ صعوبة – إذن – في أن القوى المجتمعية كان يراعى رأيها عند الصياغة لبعض الأحداث السياسية .

كذلك تقدم الوثيقة الثالثة مشهداً مهماً، يتمثل في إبراز هذا التوجس المجتمعي الذي كان سائداً في الكويت تجاه الصراع الدائر بين القوى الكبرى في المنطقة ؛ إذ إن القراءة المعمقة للوثائق الفرنسية تظهر تخوّف أهالي الكويت من الحضور العثماني وكذلك البريطاني؛ حيث تذهب إلى أن " أهل الكويت لا يرغبون في الخضوع لا للعثمانيين ولا للإنجليز، ولكنهم في نفس الوقت قد يُسلمون أمرهم لهؤلاء الأخيرين إذا ما حاول العثمانيون الهيمنة على بلادهم " .

وبالنظر في الوثيقة مرة أخرى، يلفت الانتباه إلى عدة نقاط مهمة، جاءت على لسان القنصل الفرنسي، منها "الحقيقة من كل ما شاع منذ عدة أشهر أن أهل الكويت لا يرغبون في الخضوع للأتراك ولا الإنجليز . . . . . و . . . " . إن أهالي الكويت يخشون بحق نزعة الهيمنة الإنجليزية. والواقع أن من أهم ما رصدته الوثائق الفرنسية التي استعرضناها سابقاً الإشارة إلى طبيعة المجتمع الكويتي وقيمة امتلاكه لقراراته؛ مثل رفض أو قبول الارتباط ببعض القوى. وفي اعتقادنا أن قوة المجتمع الكويتي وتأثيره تتأكد أكثر بالنظر إلى قدرته على تحديد مصالحه؛ هذه المصالح هي نفسها المطروحة على مستوى إشكالية السلطة، وإذا كنا قد حددنا إحدى النقاط في بداية الإشكالية في هذه الدراسة بالقول: "هل عكست الوثائق الفرنسية ملامح وطبيعة الدور المجتمعي لأهالي الكويت وقدرته على تحديد مصالحه على المستوى السياسي ؟" .

الحقيقة أن هذه الوثيقة الفرنسية ربما تستطيع الإجابة عن هذا التساؤل هنا؛ حيث نلمس حقيقة ذلك الإرث التاريخي، الذي مثلته القوى المجتمعية وقدرتها على المشاركة في صنع القرار السياسي بالكويت، ولعل هذا ما تعكسه كلمات القنصل في الوثيقة السابقة بشكل جلي؛ إذ تظهر تركيبة النسق المجتمعي الكويتي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشروعية السياسية التي استمدها منذ أن أسست الكويت، وهو ما يعبر عنه واردن في مقولته (عرب العتوب 1819م): "في العام 1716 م دخلت ثلاث قبائل عربية ذات شأن، جمعتهم عوامل المصلحة والطموح في تحالف، استقرت ببقعة من الأرض على الساحل الشمالي الغربي من الخليج تسمى الكويت . . . ، واتفقت القبائل الثلاث على أن يمارس آل صباح السلطة، وأن يشرف الجلاهمة على الملاحة، ويتخصص آل خليفة في التجارة" [37]. وبتصورنا أن هذا الإرث أصبح بالنسبة إلى الحديث عن المجتمع الكويتي حاضراً على مستوى سلوكيات الفاعلين السياسيين.

الوثيقة الرابعة[38] : الأول من نوفمبر 1900 تحت رقم 57 [39]

تقول الوثيقة: إن السفينة الفرنسية لادروم وصلت للبصرة بعد ترتيبات مسبقة؛ حيث تم إعفاؤها من الحجر الصحي، وهو أمر، اعتبره القنصل الفرنسي، بمثابة امتياز

استثنائي لم تتمتع به أي سفينة منذ فترة من الوقت، حددتها الوثيقة "بالأربع سنوات المنقضية على انتشار الطاعون في الهند".

تذكر الوثيقة أنه بمجرد وصول السفينة توجه القنصل الفرنسي بصحبة قائدها إلى زيارة الوالي محسن باشا، كما قام القنصل بعدها بعدة زيارات أخرى، شملت (قائد البحرية، وقائد جند الاحتياط، وقنصل إنجلترا، والنقيب رجب أفندي رئيس الطريقة الرفاعية)؛ تحمساً للوجود الفرنسي في المنطقة[40].

بعدها دعا الوالي محسن باشا القنصل الفرنسي إلى وليمة غداء، كما زار الوالي نفسه القنصل بعدها وتناول معه الغداء على ظهر السفينة "لادروم".

بعدها غادرت السفينة في الثالث عشر من أكتوبر نحو المحمرة التي وصلتها بالفعل بعد ساعتين.

ويبدو أن القنصل لاقى صعوبة في الوصول إلى شيخ المحمرة الشيخ خزعل؛ إذ يصف الوصول إليه بالصعوبة، ويذكر أن الشوارع والأزقة التي مروا بها كانت ضيقة وغير مريحة، بعدها يبدي القنصل في رسالته ارتياحه للحفاوة التي أظهرها الشيخ خزعل بمناسبة زيارته له، وهو اللقاء الذي انتهزه القنصل كي يوصي الشيخ خزعل بالبعثة الأثرية التي ستصل إلى سوسة (شوشان)، كما يقول.

ثم غادرت السفينة بعد زيارتها المحمرة؛ لتصل إلى مدينه الكويت في اليوم نفسه، الرابع عشر من أكتوبر.

لم تكن زيارة القنصل الفرنسي للكويت مرتباً لها فيما يبدو؛ حيث يقول القنصل: إنه أرسل موفداً له لإعلام حاكم الكويت أن الزيارة ستكون في اليوم التالي، وهو موعد لم يكن فيه حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في الإمارة، بل كان خلال تلك الفترة قد خرج بجيشه؛ استعداداً للقاء عبد العزيز بن رشيد حاكم حائل، الذي يصفه القنصل بالقائد القوي في جبل شمر[41]، وتتحدث الوثيقة هنا عن أن الشيخ جابر بن مبارك هو من ناب عن والده في استقبال القنصل؛ حيث اصطحبه إلى قصر الحكم، وأبدى القنصل

الفرنسي تعجبه لرؤية العلم العثماني فوق قصر الشيخ مبارك، ولعلنا هنا نستطيع العودة إلى ما ذكره لوريمر في هذا الشأن؛ حيث يذكر: " **كان الشيخ مبارك يقول: "إنه ومن قبله أبوه رفعوا العلم الموجود عليه الهلال رمزًا للإسلام لا تبعية للعثمانيين** "[42].

وتشرح الوثيقة سرد ما شاهده القنصل من حفاوة وترحيب حيث تقول: " قام الشيخ جابر بعد الاستقبال اللائق" باصطحاب القنصل في جولة بطرقات مدينة الكويت التي يصفها بالنظيفة، مقدراً عدد سكانها بما يراوح بين العشرين ألفاً والثلاثين ألفاً، ولا توجد أية إشارة تدل على ممارسة القنصل لأنشطة خلال الجولة، التي يقول بعد العودة منها: إنه قدم لهم "على الطريقة العربية، وليمة فاخرة شاركنا فيها الشيخ جابر"، وصل بعدها رسول يحمل رسالة من الشيخ مبارك، يُعبر فيها عن أسفه لعدم تمكنه من لقائنا. ويلفت انتباهنا تراجع القنصل عن الوصف الذي قدمه لابن رشيد في البداية بالقوي؛ ليعود بعدها فيصفه "بالجلف الجاهل".

ومن المسائل المهمة التي يمكن التوقف عندها مسألة التباحث حول سكة حديد بغداد، التي يقول القنصل: إنه كان سيتباحث حولها مع الشيخ جابر إلا أنه رأى أن الظرف لم يكن مناسباً؛ إذ كان شديد الحذر من اقتراب أي من رجالنا من الأهالي، أو اقتراب أي مركب من سفينتنا ولو لممارسة عمل تجاري. لهذا السبب يمكنني الاعتقاد بأن أهل الكويت يشعرون بالريبة من الاتصال بالأجانب، وأعتقد أنهم مقتنعون بأن عزلتهم هي أفضل ضامن لاستقلالهم[43].

وتشرح الوثيقة أن الشيخ جابر المبارك قام في مساء اليوم نفسه بزيارة إلى ظهر السفينة لمبادلتنا الزيارة، وقد أبدى بعض الاهتمام بالأسلحة والمدافع الموجودة على متنها، ويمكن لنا أن نلمس أيضاً أن القنصل كان على اطلاع على الزيارات لبعض القطع البحرية الروسية والعثمانية، إضافة إلى الإنجليزية؛ حيث يقول: "السفن الحربية الإنجليزية في الخليج غالباً ما تتوقف في الكويت، والسفينة "جولياك" التابعة للبحرية الروسية[44] زارت هي أيضاً الكويت هذه السنة. كل هذه السفن لها من المظهر العسكري ما يفوق سفينتنا "لادروم" وعلينا أن نعترف بذلك".

يبدو معقولاً هنا العودة إلى بعض التساؤلات التي أثارتها الدراسة في البداية، وتحديداً إشكاليتها؛ حيث يمكن من خلال هذه الوثيقة وما سبقها من الوثائق الثلاث السابقة الإجابة عن بعض التساؤلات، منها: هل كان للعلاقات الفرنسية الكويتية دور أو تأثير في صناعة القرار السياسي بالكويت؟؛ إذ لدينا إشارات تبدو أنها ترجع إلى زمن معاصر لتلك الزيارة، ويمكن من خلالها امتلاك جزء من المشهد الذي يمكننا معه القول: إن فرنسا بالفعل لم تكن خارج حسابات الأحداث أوبعيدة عن لعب أدوار متميزة تمكنها من التأثير في صناعة القرار السياسي بالكويت. ويدعم هذا أن بعض المصادر ذكرت أن الشيخ مبارك الصباح هدد في إحدى المرات بأنه في حالة عدم حصوله على اتفاق حماية مع بريطانيا فإنه سيضطر إلى الاتفاق مع آخرين منهم (فرنسا)[45].

أما التساؤل الذي يفيد: ما الدور الذي كانت تلعبه الدوافع الشخصية للقناصل أو الموظفين الرسميين الفرنسيين في تفعيل سبل التواصل بين الدبلوماسية الفرنسية والكويت في تلك الفترة؟ فبغض النظر عن طبيعة هذه الدوافع نحو قضية معينة، سواء بالسلب أو الإيجاب، **فإنه كان لها بالفعل حضور** موسع في مراسلات هؤلاء الموظفين الرسميين وكتاباتهم؛ و نظرة إلى علاقة القنصل الفرنسي مع الوالي العثماني محسن باشا والي البصرة تدعم هذا الافتراض بشكل كبير، كذلك ملامح الحفاوة التي وصفت بها زيارة القنصل للكويت ولقاءاته بالشيخ جابر؛ حيث كانت هذه الانطباعات تنقل إلى صانعي السياسة في الحكومات، وبلا شك كانت تؤخذ بالاعتبار عنداتخاذ القرارات.

بقي أن نثير الانتباه إلى إحدى المفارقات، وهي: كيف نجحت الكويت وفرنسا في بناء علاقة ودية على الرغم من الهيمنة البريطانية وتراجع نفوذ الفرنسيين في الخليج العربي، لاسيما في ظل عقد اتفاقية الحماية الكويتية البريطانية في عام 1899م. وفي رأينا أن بريطانيا، على الرغم من حرصها ومراقبتها لتحركات الفرنسيين وغيرهم، كانت على وعي بأنهم غير قادرين على تغيير الوضع لصالحهم، لذا لم تكن تعول كثيراً على تلك اللقاءات. ففي استعراضنا للوثائق في البحث لا نستطيع تبيان ما يوضح علم الفرنسيين بتوقيع الكويت اتفاقية للحماية مع البريطانيين، بخلاف العثمانيين مثلاً؛ حيث يرد في

إحدى البرقيات الموجهة من والي البصرة العثماني القول: "**أشعر بأن الإنجليز قد نصبوا أعينهم على الكويت أكثر من ذي قبل**"[46]. وفي برقية أخرى: "**بالنظر لأهمية موقع الكويت، فإن صون هذا الموقع من التدخلات الأجنبية من أهم المسائل التي ينبغي إبراز الاهتمام اللازم بها**"[47]. ويرد مثل هذا أيضاً في برقية موجهة من السفارة العثمانية إلى الصدر الأعظم بخصوص مفاوضات مع البريطانيين بشأن وضع الكويت[48].

نرى كذلك أن الحديث من قبل الفرنسيين عن البريطانيين أن لهم نفوذاً بالمنطقه واليد العليا، فلا يوجد أية ردود أفعال تقدمها الوثائق، أو شواهد على تأزم العلاقة بينهما، أو رد من الفرنسيين على تحركات البريطانيين أو طرح بدائل لها، بل المثير أننا نلمس حديثاً ودياً تجاه البريطانيين في بعض المرات؛ لأن الحكومة الفرنسية لاترغب في الاصطدام المباشر مع البريطانيين في منطقه الخليج العربي، ووصف القنصل للضباط الإنجليز في المنطقة بالأصدقاء؛ أما التساؤل الأكثر أهمية – في رأينا –؛ فهو: هل عكست الوثائق الفرنسية ملامح وطبيعة الدور المجتمعي لأهالي الكويت وقدرته على تحديد مصالحه على المستوى السياسي عندئذ؟ ولا شك في أن الوثائق تُظهر صوراً مختلفة للحضور المجتمعي لأهالي الكويت وتأكيدهم أن الإمارة سلطة محلية قائمة بذاتها، إضافة إلى تقديم مشهد مهم، وهو المتعلق بالشيخ جابر المبارك، الذي كان – فيما يبدو – يقوم بمهام والده الشيخ مبارك بشكل موسع وبما يؤهله لتحمل المسؤولية، لدرجة أن القنصل الفرنسي كان يود مناقشة موضوع السكك الحديدية معه في ذلك الوقت .

كذلك إذا حاولنا تصور أنماط العلاقة بين الحاكم في الكويت والمجتمع الكويتي على ضوء ما ورد، فإنه يمكننا توضيح ما يأتي:

إن الأهالي في الكويت كانوا بالفعل مشاركين في المجال السياسي، ويعكس ذلك ما ورد من نصوص تعلقت بهذا الواقع، وكان ذلك عبر خطين منفصلين: خط توجس الأهالي من العثمانيين من جهة وتوجسهم أيضاً من البريطانيين من جهة أخرى، (وإن كانوا – في الغالب – يقبلون، إذا ما حتمت الظروف، بوجود علاقه ما مع الإنجليز)، والخط الثاني هو (خط السلطة) وهو الخط الممثل بشيخ الكويت أو من ينوب عنه.

وفي هذا المجال يثبت ما قاله الكويتيون عن بحثهم عن الاستقلال من العثمانيين حيث إن خشيتهم من السيطرة العثمانية تدفعهم إلى البحث عن تحالف مع دول خارجية بريطانيا كانت أو فرنسا . وهذا من الدلائل المبكرة على البحث عن الاستقلال من السيطرة العثمانية التي كانت تشكل هاجساً لسكان الكويت .

الخاتمة

لا شك في أن الأرشيف الفرنسي يضم مجموعات من الوثائق المهمة التي تتناول وضع الخليج العربي ككل، والتي يرجع الفضل إليها في أول ذكر للعتوب في مصدر غربي[49] . لقد حاولنا في هذه الدراسة النظر إلى واقع الوثائق الغربية المضادة لوجهة النظر البريطانية استناداً إلى الوثائق الأربع التي تناولناها، وبتصورنا أن أهمية هذا الموضوع وقيمته، تتأكدان أكثر بالنظر إلى الإجابات التي يمكن أن تقدمها مثل هذه الوثائق عن بعض الأسئلة والقضايا الأساسية المطروحة أو التي ما تزال على مستوى إشكالية طبيعة العلاقة بين الكويت والقوى الاستعمارية الكبرى منذ تأسيسها ونشأتها على يد العتوب، وإذا كنا قد حددنا إشكالية هذه الدراسة (في عدة نقاط)، حصرناها في نطاق الفترة محل الدراسة من 1866م – 1900، فإن هذا لا يعفينا من البحث والتنقيب في المزيد من الوثائق والمراسلات الغربية المشابهة، التي لا يمكن فهم وتأطير ما تحمله من إشارات ودلائل إلا على ضوء فهم الواقع الكلي في تلك الفترات الزمنية من عمر منطقة الخليج العربي، وربما اكتفينا هنا بتسجيل بعض الملاحظات التي وردت في الوثائق، والتي تدعم بشكل أو بآخر أهمية النظر بإمعان في مثل تلك الوثائق، وذلك إذا ما حاولنا الوقوف عن قرب على حقيقة ذلك الإرث التاريخي، الذي ما تزال تمثله امتداداته على مستوى الأحداث السياسية والاجتماعية، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق برصد واقع العلاقات الكويتية الفرنسية وتجلياتها ما قبل توقيع الكويت اتفاقية الحماية مع البريطانيين عام 1899 وتطور الأحداث بعدها .

وفيما يلي نسجل أبرز الدلالات للعلاقات الكويتية الفرنسية، وهي :

1 – ارتبط تاريخ العلاقات الكويتية عموماً مع القوى الخارجية، بتاريخ الصراعات

والأحداث التي كانت تجري في المنطقة، والتي أطرافها: (الإنجليز، الفرنسيون، الروس، العثمانيون).

2 - شيخ الكويت أو من ينوب عنه كان بمثابة القائد السياسي والعسكري -كما تقدمه الوثائق - وهذا ما جعل الوثيقة الأخيرة تؤكد (مدى التقدير الذي تحظى به عائلة الشيخ عند الأهالي)؛ ما يعكس دورها كسلطة قوية ومندمجة.

3 - تأكيد مسألة استقلال الكويت عن السلطات العثمانية.

4 - يمكن أن نفهم أيضاً كيف كانت النظرة الفرنسية إلى التحركات البريطانية تجاه الكويت وكذلك الدولة العثمانية، بل أكثر من ذلك نلاحظ هذه النظرة الودية من قبل الفرنسيين نحو العثمانيين، وعدم محاولتهم إثارة عوامل الصراع معهم أو دعم بعض الأطراف ضدهم.

ملحق (1)

نص الوثيقة الفرنسية الرابعة

"سيدي الوزير لقد تأخرت رحلتي من بغداد إلى البصرة، من ناحية؛ بسبب وفاة قائد السفينة التي كنت حجزت عليها، ومن ناحية أخرى بسبب أنّ السفينة "لادروم" اضطرت لانتظار فترة المد وارتفاع منسوب المياه حتى تُبحر في شط العرب. لذلك أنا آسف أن وصولي إلى البصرة كان بعد وصول سفينتنا الحربية إلى المكان.

في واقع الأمر لم يكن لهذا التأخير أيُّ أثر سلبي كبير؛ لأنني كنت اتخذت بعض الاحتياطات وأعلمت والي البصرة بتاريخ وصول السفينة. قام كذلك والي بغداد بإرسال رسالة تلغرافية إلى زميله في البصرة ليوصيه باستقبال سفينتنا ومواطنينا أحسن استقبال.

عند وصولها إلى البصرة كانت أمام "لادروم" مفاجأة سارة؛ حيث أُعفيت من الحجر الصحي، وهو امتياز استثنائي لم تتمتع به أي سفينة أخرى منذ الأربع سنوات المنقضية على انتشار الطاعون في الهند. إن هذا الامتياز له قيمة كبيرة؛ لأنه أُسند إلى سفينتنا رغم أنه كان

على متنها حالة من الكوليرا بعد مغادرتها مرفأ بندر بوشهر. كذلك، أبدت لنا السلطات في البصرة كل المودّة بسبب أنها قبِلت بتبادل التحية مع سفينة "لادروم" رغم أنها مجهزة بمدفعين اثنين فقط وليس لها الحق في هذه التحية.

بمجرد وصولي توجَّهت صحبة قائدها لزيارة الوالي، وهو محسن باشا الذي تربطني به علاقة صداقة منذ أربع سنوات، وكنت تعرفت عليه في بغداد حين كان في خطة قائد عام للفيلق السادس. لذلك استقبلنا محسن باشا بكل حفاوة.

قمنا بعدها بزيارة قائد البحرية، وقائد جند الاحتياط، وقنصل إنجلترا وكذلك النقيب رجب أفندي رئيس الطريقة الرفاعية، وهو شخصية دينية لها تأثير كبير. استقبلنا رجب أفندي بكل حفاوة، وأبدى اهتماماً كبيراً بشؤون مسقط، وهو يعرف أخبارها بواسطة المراكب الشراعية المترددة عليها. إنه يتساءل دائماً لماذا لا تُظهر فرنسا راياتها في الخليج العربي بشكل أكبر؟ لماذا لا تحقق التوازن مع التأثير الإنجليزي؟ ويقول كذلك إن كل القبائل العربية على الضفة الغربية للخليج، من مسقط حتى الفاو، يتمنون ذلك.

في يوم الثاني عشر من شهر أكتوبر أعد لنا محسن باشا مأدبة كبيرة دعا لها أبرز معاونيه، وتبادلنا خلالها كل عبارات المجاملة، وفي اليوم التالي زارنا هو بدوره وتناول معنا الغداء على ظهر "لادروم". لقد رغب مواطنونا في تمديد إقامتهم في البصرة؛ حيث لم يلقوا سوى عبارات التعاطف، لكن الأوامر كانت جاءت من باريس بضرورة العودة في أقرب وقت ممكن، وكان من واجبها المغادرة.

في مساء اليوم الثالث عشر أبحرت سفينتنا، وبعد ساعتين رسونا في المحمرة، أمام قصر الشيخ الذي استقبلنا في الحين رغم أن الساعة كانت متأخرة. حتى نصل إليه كان علينا أن نخترق أروقة معقدة ومظلمة وأن نمر أمام عدد من الصعاليك ومن الحرس الخاص ينامون في الباحات وفوق الأسطح ويضعون إلى جانبهم كؤوس الشراب.

أظهر لنا الشيخ خزعل كل الود، وانتهزتُ الفرصة لأوصيه خيراً ببعثتنا الأثرية التي ستصل قريباً إلى سوسة (شوشان). لقد أظهر الشيخ سعادة كبيرة بلقائنا وعرض علينا مختلف الأوسمة ومن بينها وسام إنجليزي، وقال إنه لم يحمل هذا الوسام إلا بعد

أخذ الإذن من طهران، وهو الأمر الذي لم يفعله بقية الشيوخ الباختياريين. عند رحيلنا ناولنا الشيخ صورة له وأرسل للسفينة عدداً من رؤوس الغنم. لقد أسِفنا، أنا والقائد "مارتيل"، على افتقارنا لهدية يمكن أن نقدمها إلى الشيخ.

غادرنا المحمرة صباح يوم الرابع عشر من الشهر، ووصلنا في نفس اليوم إلى الكويت. كان علينا بسبب مشكلة الأعماق، أن نرسو على بعد أربعة أو خمسة أميال من الشاطئ، ومن هناك أرسلت الترجمان إلى اليابسة ليعلم بزيارتنا في اليوم التالي.

في يوم الخامس عشر دخلنا الكويت. استقبلنا أحد أبناء الشيخ المبارك على سُلَّم السفينة، وتم اقتيادنا إلى قصر الشيخ المبارك، وقد أثارت شيئاً من التعجب عندي رؤية الراية العثمانية ترفرف فوقه. للأسف الشديد كان الشيخ المبارك غائباً عن المدينة، خرج إلى الصحراء على بعد مسيرة سبع ساعات، وهو يتهيأ لمواجهة عبد العزيز بن رشيد القائد القوي في جبل شمر. بين مخيمه في الصحراء وبين مدينة الكويت كان هناك حركة اتصال دائمة بواسطة البريد. ورغم المشاغل الحادة في هذا الوقت لم يدخر ابنه الشيخ جابر جهداً في ضمان استقبالنا الاستقبال اللائق. لقد اصطحبنا في جولة في طرقات المدينة، وهي مدينة يمكن تقدير عدد سكانها بين عشرين وثلاثين ألفاً. لاحظنا مظهراً من الترتيب والنظافة ومن اليُسر الذي لم نعتد على رؤيته في مدن الشرق. يجلب الانتباه كذلك ويستحق الذكر مدى التقدير الذي تحظى به عائلة الشيخ عند الأهالي.

عند عودتنا قُدمت لنا، على الطريقة العربية، وليمة فاخرة شاركنا فيها الشيخ جابر، وعند فراغنا من الطعام وصل رسول من الصحراء يحمل رسالة من الشيخ مبارك الصباح، يُعبر لنا فيها عن أسفه عن عدم تمكنه من لقائنا بسبب غيابه عن المدينة وانشغاله بالاستعداد للحرب التي يريد أن يشنها على " الجلف الجاهل ابن رشيد" (على حد تعبيره).

رغم غياب الشيخ المبارك كنت أتمنى أن أتباحث مع الشيخ جابر عن مسألة سكة حديد بغداد، لكن الظرف لم يكن مناسباً، وكانت كثرة المشاغل ظاهرة عليه في تلك الفترة. كان شديد الحذر من اقتراب أي من رجالنا من الأهالي، أو اقتراب أي مركب من سفينتنا ولو لممارسة عمل تجاري. لهذا السبب يمكنني الاعتقاد أن أهل الكويت يشعرون

بالريبة من الاتصال بالأجانب، وأعتقد أنهم مقتنعون بأن عزلتهم هي أفضل ضامن لاستقلالهم.

في مساء نفس اليوم جاءنا الشيخ جابر إلى ظهر السفينة لمبادلتنا الزيارة، ووجه اهتماماً كبيراً إلى تقنية تشغيل المدافع وإلى بنادق "لوبال"، رغم أنه، ودون شك، ليست المرة الأولى التي يصعد فيها على ظهر سفينة حربية. فالسفن الحربية الإنجليزية في الخليج غالباً ما تتوقف في الكويت، والسفينة "جولياك" التابعة للبحرية الروسية زارت هي أيضاً الكويت هذه السنة. كل هذه السفن لها من المظهر العسكري ما يفوق سفينتنا "لادروم" وعلينا أن نعترف بذلك.

غادرنا الكويت يوم السادس عشر من أكتوبر في حدود الساعة منتصف النهار، وجرّت سفينتنا مركباً شراعياً سخره لي الشيخ جابر حتى أعود فيه إلى البصرة، وقد كان محسن باشا قد نصحني بعدم السفر إلى البصرة عن طريق البر بسبب حالة انعدام الأمن التي تسود المنطقة. مع حلول منتصف الليل وصلنا شط العرب وواصلت السفينة إبحارها في اتجاه بندر بوشهر وقضيت أنا ليلتي في المركب الشراعي في عرض البحر. كان البحر هائجاً والرياح غير مساعدة على مواصلة الطريق ولم أصل إلى الفاو إلا في مساء اليوم التالي.

استقبلني هناك أحد إخوة شيخ الكويت، وهو الوحيد الذي لم يتم اغتياله، وكان عليَّ أن أتحمل من جديد مأدبة عشاء على الطريقة العربية. بعد ذلك ركبت يَخْتاً بخارياً أرسله لي محسن باشا، بكل كرم منه، ليحملني ويبحر بي في اتجاه شط العرب، ووصلت البصرة يوم الثامن عشر من شهر أكتوبر حوالي الساعة منتصف النهار.

في الخلاصة كانت لزيارة السفينة "لادروم" إلى البصرة نتائج مفيدة. فرغم صمت الصحافة الإنجليزية يعلم الناس هنا بنجاحاتنا الأخيرة في مسقط ويباركونها. فبعد تأسيسنا لمخزن الفحم في إمامة مسقط هم اليوم يأملون في أن تظهر رايتنا بشكل أكبر. فعرب هذه المناطق يظهرون إزاءنا كل علامات الود، وقد لاحظ ذلك ضباط "لادروم" أنفسهم، وعلمت منهم أنهم لم يجدوا في أي مرفأ آخر ما وجدوه هنا من ترحاب وعناية. ففي كل

يوم تنزل فرَقٌ من بحارتنا إلى اليابسة ويتجولون في أرجاء المدينة دون أن يحدث لهم أي إزعاج أو أن يتعرضوا لأية حادثة.

ومن ناحية أخرى لا يمكن أن يوجد وال أفضل استقبالاً أو أكثر ترحيباً وودّاً للمواطنين الفرنسيين من والي البصرة. . . أما إزاء شخصي؛ فلم يكن هناك شكل من أشكال التعبير عن الود إلا وأظهره محسن باشا؛ حيث كان يدعوني إلى الغداء معه ويستقبلني أحسن استقبال ويدعوني كذلك لجولات في شوارع المدينة على متن عربته أو أحياناً سيراً على الأقدام. أسير معه وقد أمسك بيدي كما يفعل كل العسكريين الأتراك مع أصدقائهم.

أثناء زيارة السفينة الروسية "جولياك" إلى مرفأ البصرة أسند الروس إلى محسن باشا وسام "سانت آن" الرفيع، ولا أعتقد أنه فعل مع القنصليتين أكثر مما فعل معنا نحن. لذلك، كنت أبرقت بتاريخ الخامس من شهر ديسمبر 1897 إلى سفيرنا بشأن محسن باشا، وقلت إنه رجل أمين وله علاقات ودية مع القنصليتين الفرنسية والروسية، وفي برقية أخرى أرسلتها بتاريخ الثالث والعشرين من شهر يناير الماضي كتبت عنه التالي: "إنه تركي متحضر، كثير الاختلاط بالمجتمع الأوروبي، يتحدث لغتنا ويكتبها". محسن باشا هو ضابط برتبة لواء، وسوف أكون سعيداً جداً لو أن سيادتكم وافقتموني التقدير بأن المعاملة التي وجدها عنده بحارة السفينة "لادروم" كفيلة بإسناده وسام الشرف الذي يناسب وظائفه ومهامه".

الهوامش والمراجع

(1) ربما تكون خريطة الفرنسي "سانسون" المنشورة في 1654/1652 تحت عنوان "خريطة بلاد العرب الثلاث" من أوائل الخرائط التي تضمنت بعض المعلومات المهمة و المعروفة عن الجزيرة العربية في هذا الوقت. للاطلاع على هذه الخريطة راجع: الغنيم، عبدالله يوسف: "الكويت: قراءة في الخرائط التاريخية"، **مركز البحوث والدارسات الكويتية**: ط 3، 2000 م.

(2) توالى على الحكم في الكويت خلال هذه الفترة ثلاثة حكام هم: (الشيخ عبد الله بن صباح الثاني 1866 – 1892م، الشيخ محمد بن صباح 1892 – 1896 م. الشيخ مبارك الصباح 1896–1915م).

(3) تعدّ هذه المعاهدة من أوائل المعاهدات التي عقدت بين عُمان ودولة أجنبية أخرى. للمزيد راجع: حسين،

علي: "التنافس البريطاني الفرنسي في عمان 1749 – 1798م"، **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**: المجلد 47، عدد2، جامعة الأنبار، ملحق1، 2020، ص 268.

(4) يمكن هنا النظر إلى عبارة فردينان لوت في إشارته إلى أن "على المؤرخين أن يطلعوا على الوثائق وأن يشرحوها بدقة دونما حذف أو إضافة". هورس، جوزيف: **قيمة التاريخ: دراسة فلسفية**، ترجمة: نسيب وهيبة الخازن، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1964م، ص 61.

(5) بيريل، سمالي: **المؤرخون في العصور الوسطى**. ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار المعارف، 1978م، ص49.

(6) توجد وثائق القناصل الفرنسيين في بغداد والبصرة من (1792 – 1825) في محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، أما المراسلات والتقارير بين عامي 1840و1896، الصادرة عن القنصلين ببغداد والموصل؛ فمقسمة لعدة أجزاء، لكن ابتداء من عام 1900 وضعت معظم المراسلات السياسية وقسمت تقارير قنصلية بغداد إلى قسمين

N . S MASCATEK N S /TURQUIE .

انظر: حسن، أيمن فؤاد: "الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح: مختارات من الأرشيف الفرنسي 1896 – 1915م"، **مركز البحوث والدراسات الكويتية**، ط1، 2001، ص 16 – 18.

(7) للمزيد في هذا السياق انظر: مقالة بي جي سلوت في رسالة الكويت، السنة الرابعة، العدد14، مارس 2006؛ حيث تناولت الرسالة بشكل مفصل وثائق الأرشيف الفرنسي.

(8) لوريمر، جون غوردون: **دليل الخليج العربي، القسم التاريخي**، ج1، طبعة قطر، ص26، تجدر الإشارة إلى أن إنشاء شركة الهند الشرقية الفرنسية جرى عام (1664). للمزيد راجع: الوسمي، خالد: "الدبلوماسية الفرنسية وعمان في أواخر القرن التاسع عشر – دور بول أوتافي نائب القنصلية الفرنسية بمسقط 1894 – 1901: دراسة وثائقية"، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، الكويت: الحولية الثانية والثلاثون، 2012م.

(9) العنقري، خالد بن محمد: "دور الرحالة الأوروبيين في رسم خريطة الجزيرة العربية فيما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلاديين"، **التاريخ العربي**: ع 16، 2000، ص22.

(10) – إلا أنها – في حقيقة الأمر – لم تخرج عن كونها بعثات للمراقبة ودراسة الأوضاع. للمزيد في هذا الشأن انظر: العقاد، صلاح: **الاستعمار في الخليج الفارسي**، القاهرة: د. ت، ص 30 – 31.

(11) النجار، كفاح أحمد؛ وراشد، جمانة محمد: "التنافس الفرنسي البريطاني في عمان خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة الفنون والأدب والعلوم والإنسانيات والاجتماع**: عدد4، مارس 2016، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ص11.

(12) في الخرائط الغربية.

(13) أقفلت في عام 1741 إلا أنها فتحت مرة أخرى في عام 1755. للمزيد راجع: دليل الخليج، الجزء الأول، ص3960.

(14) على سبيل المثال، بعثت فرنسا بأولى بعثاتها إلى فارس في عام 1796، وعرفت باسم بعثة برجروأوليفييه،

إلا أنها لم تحقق أهدافها. للمزيد راجع: التنافس الفرنسي البريطاني في عُمان خلال القرن التاسع عشر، ص 14.

(15) مع أهمية الأرشيفات الفرنسية فإنها ما زالت – بصورة عامة – لا تشكل مصدراً رئيسيّاً، وما زالت مهملة في كتابة تاريخ الكويت، وعلى الرغم من أن الباحث في الوثائق الحكومية الفرنسية سيعثر على كثير من الإشارات والدلائل التي تكشف جانباً واسعاً من الاتصالات التي جرت بين الدبلوماسيين الفرنسيين بمنطقة الخليج العربي وحكوماتهم لشرح طبيعة أوضاع المنطقة وأخذ التعليميات – فإن التعامل مع هذا الإرث المعرفي لايزال دون المستوى المأمول.

(16) يجمع المؤرخون على أن الهجرة بدأت من الهدار إلى الأفلاج؛ ومن ثم إلى وادي الدواسر والأحساء، في حين يرى آخرون أنها كانت من الهدار بنجد متجهة مباشرة إلى سواحل الخليج العربي. للمزيد يمكن مراجعة: الصباح، ميمونة: **الكويت حضارة وتاريخ**، مج1، ط2، 1994، ص 77؛ حيث ترجح "توجه العتوب إلى قطر، ونزولهم في قرية الفريحة بالقرب من الزبارة بقطر". كذلك انظر: العتيبي، فيحان: هجرة العتوب بين الرواية الشفهية وكتابات المؤرخين المعاصرين"، **حوليات آداب عين شمس**: المجلد 37، يناير – مارس 2009م، ص55.

(17) أبو حاكمة، أحمد مصطفى: **تاريخ الكويت الحديث (1750 – 1965م)**، ذات السلاسل، 1984م، ص 23.

(18) تاريخ الكويت الحديث (1750 – 1965م)، ص 22.

(19) الترجمة أوردها الدكتور يعقوب الغنيم في كتابه "الكويت تواجه الأطماع"، **مركز البحوث والدراسات الكويتية**، ط1، 1988م، ص 141–142، وهي مأخوذة من مجلة الْوَثِيقَةُ، العدد الأول، ص 103.

(20) الكويت عبر القرون، ص40. كذلك انظر:

From Brief Notes To The Rise and Progresof The Arabs of the (Persian Gulf) Prepared In Augest 1819 By Mr. Warden Member Of The Council Bombay Under Utobec Arabs, Bahrin I.S.B.O Vol XXXIv P.P. 362-372

راجع أيضاً: العتيقي، عماد محمد: "وجود آل خليفة والعتوب في الأحساء من خلال الوثائق المحلية، عود على بدء" **مجلة العرب**: ج8/7، س48، 2012 م، ص356.

(21) دليل الخليج، ص 3856.

(22) الصباح، ميمونة: **الكويت في ظل الحماية البريطانية**، ط1، ، 1988م، ص 19–20.

(23) الإبراهيم، يعقوب يوسف: **العلاقات الكويتية الفرنسية 1887**، ط1، د.ن.

(24) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج4، ص1877.

(25) العزاوي، محمد عبد الله "نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793–1798م"، **مركز دراسات البصرة والخليج العربي**، جامعة البصرة: مج 18، السنة14، العدد 3، 4، 1986م، ص 36.

(26) نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة، 1793–1798م، ص29.

(27) -A.A.E. cerr. Cons. Et comm. Zanazibar, Vol.I (1828 1851), pp. 139-153.

(28) دليل الخليج، ص 430.

(29) "كانت سوق مسقط مركز توزيع السلاح نحو الجهات الأخرى من الخليج؛ كالكويت وقطر وبلاد فارس وأفغانستان؛ فكانت تحمل منها الأسلحة في السفن الشراعية الصغيرة المعروفة بالبدان (Badan)، وقد تشحن أيضاً على متن السفن التابعة لشركة الهند البريطانية في صناديق الحلوى للتمويه". راجع: الدبلوماسية الفرنسية وعمان في أواخر القن التاسع عشر، ص24.

(30) إلا أن هذه التوجهات الفرنسية بدأت تختفي؛ حيث أقفلت القنصلية الفرنسية في البصرة في عام 1883م، لوريمر، دليل الخليج، ص 451.

(31) Archives diplomatique de Nantes, Carton PO/A26. Baghdad, p.105,Direction politique correspondance N° 7.

(32) أنشأت فرنسا في مسقط في عام 1894 قنصلية تولاها أوتافي.

(33) محمد، صالح خضر: "نشاط القنصلية البريطانية في الكويت، 1886–1945م"، **مجلة كلية التربية للبنات**، العراق: مج 22 (2)، ص 351، 2001.

(34) من الجدير بالذكر أن بريطانيا كانت قد أبرمت معاهدة مع عمان عام 1822، حرمت فيها بيع الرقيق للأمم المسيحية، كما عقدت معاهدة مع فارس عام 1838 لتحريم هذه التجارة.

(35) الأولى 3 نوفمبر، الثانية 17 ديسمبر.

(36) Archives diplomatique de Nantes, Carton PO/A 26, (Baghdad), p. 107, Direction politique, correspondance N° 12.

(37) الكويت عبر القرون، ص 40 . انظر كذلك:

Extracts From Brief Notes To The Rise and Progres of The Arabs of the (Persian Gulf) PreparedIn Augest 1819 By Mr. Warden Member Of The Council Bombay Under Utobec Arabs, Bahrin I.S.B.O VolXXXIv P.P. 362-372 .

راجع أيضاً: العتيقي، عماد محمد: "وجود آل خليفة والعتوب في الأحساء من خلال الوثائق المحلية، عود على بدء"، **مجلة العرب**: ج8/7، س48، 2012 م، ص356.

(38) الشؤون السياسية، رقم 19، هذا وقد تم إدراج نص الوثيقة كاملاً في ملحق خاص نهاية الدراسة؛ وذلك نظراً لطولها، وحتى تتم الاستفادة القصوى للباحثين إذا ما أرادوا الاطلاع على نصها الأصلي أو العمل عليها لاحقاً.

(39) .Archives diplomatiques de Nantes, Baghdad (consulat), Série A, Carton 32, p.105

(40) رجب أفندي: تذكر الوثيقة أنه شخصية دينية لها تأثير كبير.

(41) رأى مبارك أن يعاجل ابن الرشيد، فتوجه إليه بجيش ضم كثيراً من القبائل كمطير والعوازم والعجمان وعريب دار والمنتفك وآل مرة وبني هاجر والظفير ونحو ثمانمائة مقاتل من أهل الكويت، وكان مبارك هو القائد بنفسه. الرشيد، عبد العزيز: **تاريخ الكويت**، طبعة منقحة، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقة: يعقوب عبد العزيز الرشيد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1978م، ص 161

(42) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج3، ص 1562.

(43) يبدو أن الشيخ (جابر) وقتها كان مقتنعاً بأن من الضمانات المهمة للكويت ارتباطها بقوى مثل الإنجليز؛ حيث عبر عن رأيه هذا للوالي محسن باشا قائلاً: إن الكويت "لديها عزم على اتباع دولة الإنجليز على ما تراه منها من الشفقة، أما دولته- ويقصد بها الدولة العثمانية- فلم نر منها سوى الأذى والمشقة". الغنيم، عبد الله يوسف: **أخبار الكويت، رسائل علي بن غلوم رضا**، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2007م، ص 37.

(44) الحقيقة أن الخطوات الروسية نحو لعب دور مؤثر في منطقة الخليج العربي كانت أكثر وضوحاً وإعلاناً عن نفسها منذ نهاية القرن التاسع عشر، كما أن الرصد التاريخي يشير إلى أن الاهتمام العام لروسيا بالكويت، تزايد منذ تولي الشيخ مبارك الحكم عام 1896. انظر: الدوسري، نادية وليد: **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 – 1325هـ / 1880-1907م**، السعودية: دارة الملك عبدالعزيز، 2001، ص129.

(45) يؤكد ذلك ما ذكر من أن الشيخ مبارك أكد للكولونيل جاسكين نائب المقيم السياسي البريطاني في الخليج في أثناء زيارته لتوقيع الاتفاقية بأنه قد تلقى عروضاً فرنسية. انظر: أخبار الكويت، رسائل علي بن غلوم رضا، ص 23.

(46) البرقية المشفرة الواردة من ولاية البصرة جواباً لما ورد بتاريخ 1 أغسطس 315 [1 رومي: 6 ربيع الثاني 1317هـ/13 أغسطس/آب 1899م]؛ الأرشيف العثماني، تصنيف Y. A. RES. 104/30

(47) الأرشيف العثماني، تصنيف Y. A. RES. 104/30

(48) هذا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا لا تزال تحاول نفي أية علاقة خاصة بالكويت. الأرشيف العثماني، تصنيف Y. A. RES 114/46

(49) كتبه القنصل الفرنسي في البصرة جان أوتيه عام 1742م.

المراجع بالحروف اللاتينية

References in Roman Script

(1) ʿbdāllh īūsf al-ġnīm , al-kwyt qrāʾẗ fī al-ḫrāʾiṭ al-tārīḫīẗ, mrkz al-bḥūṯ wāldārsāt al-kwytīẗ, ṭ 3, 2000 m.

(2) īʿqūb īūsf al-ābrāhīm, al-ʿlāqāt al-kwytīẗ al-frnsīẗ 1887, ṭ1, d.n

(3) ʿbd al-ʿzīz al-ršīd, tārīḫ al-kwyt, ṭbʿẗ mnqḥẗ, ūḍʿ ḥwāšīh ūʾašrf ʿli tnsīqẗ īʿqūb ʿbd al-ʿzīz al-ršīd, mnšūrāt dār mktbẗ al-ḥīāẗ, bīrūt , 1978m.

(4) ʿbd al-lh īūsf al-ġnīm, aḫbār al-kwyt, rsāʾil ʿli bn ġlūm rḍā, mrkz al-bḥūṯ wāldrāsāt al-kwytīẗ, 2007 m.

(5) ğūzīf hūrs qīmẗ al-tārīḫ drāsẗ flsfīẗ, trğmẗ nsīb ūhībẗ al-ḫāzn , bīrūt, dār mktbẗ al-ḥīāẗ, 1964 m.

(6) smālī bīrīl , al-muʾrḫūn fī al-ʿṣūr al-ūsṭi , trğmẗ qāsm ʿbdh qāsm , al-qāhrẗ , dār al-mʿārf , 1978m.

(7) aīmn fuʾād ḥsn, al-kwyt fī ʿhd al-šīḫ mbārk al-ṣbāḥ mḫtārāt mn al-ʾaršīf al-frnsī 1896-1915m , mrkz al--bḥūṯ wāldrāsāt al-kwytīẗ , ṭ1, 2001.

(8) lūrīmr , dlīl al-ḫlīğ al-ʿrbī, al-qsm al-tārīḫī , ğ1,ṭbʿt qṭr, 2008.

(9) ṣlāḥ al-ʿqād, al-āstʿmār fī al-ḫlīğ al-fārsī, al-qāhrt, d. t.

(10) mīmūnt al-ṣbāḥ, al-kwyt ḥḍārt ūtārīḫ, al-mğld al-ʾaūl – al-ṭbʿt al-ṭānīt ;1994 .

(11) abū ḥākmt, tārīḫ al-kwyt al-ḥdīṯ (1750- 1965m), ḏāt al-slāsl , 1984m.

(12) mīmūnt al-ṣbāḥ, al-kwyt fī ẓl al-ḥmāīt al-brīṭānīt ṭ1, 1988m.

(13) li ḥsīn, al-tnāfs al-brīṭānī al-frnsī fī ʿmān 1798-1749m drāsāt al-ʿlūm al-insānīt wālāğtmāʿīt , al-mğld 47 ʿdd2, ğāmʿt al-ānbār, mlḥq 1, 2020.

(14) mqālt bī ğī slūt fī rsālt al-kwyt al-snt al-rābʿt al-ʿdd14, mārs 2006.

(15) ḫāld al-ūsmī al-dblūmāsīt al-frnsīt ūʿmān fī awāḫr al-qrn al-tāsʿ ʿšr dūr būl aūtāfī nāʾib al-qnṣlīt al-frnsīt bmsqṭ 1894-1901drāst ūṭāʾiqīt, ḥūlīāt klīt al-ʾādāb wālʿlūm al-āğtmāʿīt, al-kwyt , al-ḥūlīt al-ṭānīt wālṭlāṭūn , 2012m.

(16) ḫāld bn mḥmd al-ʿnqrī, dūr al-rḥālt al-ʾaūrbyin fī rsm ḫrīṭt al-ğzīrt al-ʿrbīt fīmā bīn al-qrnīn al-ḫāms ʿšr wālṭāmn ʿšr al-mīlādyin. al-tārīḫ al-ʿrbī, mğlt ʿlmīt mḥkmt. ʿ 16, 2000.

(17) kfāḥ aḥmd al-nğār – ğmānt mḥmd rāšd, al-tnāfs al-frnsī al-brīṭānī fī ʿmān ḫlāl al-qn al-tāsʿ ʿšr, mğlt al-fnūn wālʾadb wālʿlūm ū al-ānsānīāt wālāğtmāʿ, ʿdd4, mārs , klīt al-āmārāt llʿlūm al-trbwyt, 2016,

(18) hğrt al-ʿtūb bīn al-rwāīt al-šfhīt ūktābāt al-muʾrḫīn al-mʿāṣrīn, fīḥān al-ʿtībī, ḥūlīāt adāb ʿīn šms, al-mğld 37, īnāīr – mārs 2009m.

(19) ʿmād mḥmd al-ʿtīqī, ūğūd al- ḫlīft wālʿtūb fī al-ʾaḥsāʾ mn ḫlāl al-ūṭāʾiq al-mḥlīt, ʿūd ʿli bdʾ, mğlt al-ʿrb, ğ7/8, s48, 2012 m.

(20) mḥmd ʾbd al-lh al-ʿzāwy, nšāṭ frnsā al-sīāsī fī al-ḫlīğ al-ʿrbī wālāğrāʾāt al-brīṭānīt al-mḍādt 1793 1798m, ğāmʿt al-bṣrt - al-mğld al-ṭāmn ʿšr, al-snt14, al-ʿdd al-ṭālṭ- al-rābʿ mrkz drāsāt al-bṣrt wālḫlīğ al-ʿrbī, 1986m.

(21) ṣālḥ ḫḍr mḥmd, nšāṭ al-qnṣlīt al-brīṭānīt fī al-kwyt, 1886-1945m, mğlt klīt al-trbīt llbnāt , al-ʿrāq, mğ 22 (2) , ṣ 351, 2001.